(سوق الذمم)

ابراهيم مهنا الصحفي

قبل أن أتحدث عن هذا السوق العجيب لابد من تعريف لكلمة (ذمة)!؟

لأن هذه الكلمة العظيمة استخدمت استخداماً واسعاً وقلت هيبتها عند البعض مع تأسفي لهم فهم لايقبلون المساس بها كغيرهم فهم كذلك أصحاب ذمم.

فـ (الذمة) هي الحق والحرمة ، وهي بمعنى الأمان فمن أعطي الأمان من غير المسلمين يسمى ذمي .

وعديم الذمة هو الذي لاضمير له ، وإبراء الذمة هو إرضاء الضمير .

وتعريفها عند الفقهاء : مَعْنًى يصير الإنسان به أهلا لوجوب الحق له أو عليه ، ولذا فهي محل اهتمام بالغ ، إذ أن القيام بها واجب وحق ، والمساومة عليه خطر محدق ، والقدوة فيه عزيزة نادرة، فارتفاع القوم بمقدار ذممهم (ضمائرهم) وانحطاطهم بمقدار تفريطهم في ذممهم ، فتلك الصالحة لم تقبل أن تخلط الحليب بالماء رغم أنها تكسب بذلك ، وتزيد انتاجها ، ولايشعر أحد بفعلها ، فهل إقتدى بها التجار ؟!.

وضمير الصحابية رضي الله عنها التي ماهدأت سنين ، فضميرها مافتىء يؤنبها حتى تطهرت من حد الزنا .

وثالث الثلاثة الذين أطبقت عليهم الصخرة في الغار ، والذي إستأجر أجيراً وأعرض الأجير عن أجرته ، فنماها له حتى صارت قطعاناً من البقر والغنم فلما عاد أعطاه ذلك .. ضمائر يفتقدها من يبخس الأجراء حقهم .

وتاريخ أمتنا المجيد مليء بالنماذج التى بلغت ذرى المجد وتسنمت سنامه ، وعندما أرخصت الذمم وغابت الضمائر ، فشا سوقها ، وعاث فيها تجارها بين الاضمار والعلن؛ فكانت مضماراً واسعاً استخدمها تجار الضمير شاهداً على نزاهتهم ، فأصبح من الصعب نقدهم ، ومن الخطر كشفهم ، فـ بيع الضمير لأتفه الأسباب ولحفنة من الدنيا منزوعة البركة ، ولم يكن هناك مكسب سوى رضا الآخرين وكسب ودهم .

فكثر المداحون بلاضمير ، فأثني على رجال لايستحقون المدح ، ودعمت مشاريع لاتنفع بل تضر ، وبوركت نتائج مزيفة ، وأدخل على المجتمع الضرر في دينهم ودنياهم ، فأين ضمير (ذمة) من يبيع على المسلمين مايضرهم ولاينفعهم .

وأين ضمير من يقول الكلمة فتفسد أكثر مماتصلح .. أين ضمير من يتولى أمراً من أمور المسلمين (تعليم – صحة – بلدية – إعلام ،،، إلخ) .. فيخون ما اؤتُمن عليه فيبيعه لعرض زائل ، ولغرض إجازة أو راحة أو مال أو جاه أو سمعة ..

عندما يقصر عامل في عمله ، وعندما يتساهل قائد أو رئيس أو مدير في محاسبة مقصر أو مهمل أو عديم ضمير ، ولايستحضر الضمير والذمة فإنه ناقوس خطر وإيذان لفساد عريض ، وضياع للقدوة ، وعندها عن الضمير لاتسل وألف سلام على الذمم.

ابراهيم مهنا الصحفي